

الفصل الرابع

حَقِيقَةُ حُبِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



حقيقة حب النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

إذا كانت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عقد من عقود الإيمان ولزيم سنته وإتباع هدية علامة المحبة الصادقة لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم كما أنه من أعظم أسباب محبة الله عز وجل ، وهي ليست كلمات تقال ولا أشعار تنظم ولا احتفالات تقام بمناسبة مولده ولا هجرته صلى الله عليه وسلم . إنما هي أسباب ومسببات تتعلق بالطاعة والعبادة والسلوك والأخلاق ويعون الله سوف نوضح ونسوق بعضها مما اجتمعت عليه الأمة الإسلامية فيقول الشيخ الغزالي : ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس قصته تتلي يوم ميلاده كما يفعل الناس الآن ، ولا التنويه به يكون في الصلوات المخترعة التي قد تُضم إلي ألفاظ الأذان ولا إكنان حية يكون بتأليف مدائح له أو صياغة نعوت مستغربة يتلوها العاشقون ويتأوهون أو لا يتأوهون ، فرباط المسلم برسوله الكريم أقوى وأعمق من هذه الرابطة الملققة المكذوبة على الدين ، وما جنح المسلمون إلي هذه التعابير في الإبانة عن تعلقهم بنبيهم إلا يوم أن تركوا الباب المليء وأعيامهم جملة ، فاكتفوا بالمظاهر والأشكال محدودة في الإسلام فقد فُتِنُوا في اختلاف صور أخرى ولا عليهم فهي لن تكلفهم بهذا ينكصون عنه ، إن الجهد الذي يتطلب العزمات هو في الاستمسك باللباب المهجور والعودة إلي جوهر الدين ذاته فبدلاً من الاستماع إلي قصة المولد يتلوها صوت رقيم ينهض المرء إلي تقويم نفسه وإصلاح شأنه حتى يكون قريباً من سنن محمد صلى الله عليه وسلم في معاشه ومعاده وحربه وسلمه وعلمه وعمله وعاداته وعباداته .

إن المسلم الذي لا يعيش لرسول صلى الله عليه وسلم في ضمير، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يغني أبداً عنه أن يحرك لسانه بأكف صلاة في اليوم والليلة (١)

يقول الحسن البصري : أدعي ناس محبة الله عز وجل فابتلاهم بهذه الآية .

" قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ... "

(آل عمران : ٣١)

(١) فقه السيرة ، ص ٥ .

قال الصحابة رضوان الله عليهم : إنا نحب ربنا حباً شديداً ، فأحب الله عزوجل أن يجعل لحبه علامة فقال تعالى :

" قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ " (آل عمران : ٣١)

قال القرطبي : كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيماناً صحيحاً لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة ، غير أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى ، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى ، كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً في الغفلات في أكثر الأوقات ، ولكن الكثير منهم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق إلي رؤيته ، بحيث يؤثرها عن أهله وولده ووالده وماله ، ويبدل نفسه في الأمور الخطيرة ، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجداناً لا ترد فيه ، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيادة قبره ، ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر ، لما وقر في قلوبهم من محبته ، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات ، والله المستعان (٢)

وحقيقة حب النبي صلى الله عليه وسلم تظهر في بعض المظاهر التي سنحاول بعون الله أن تذكر بعضاً منها ما وفق الله في الوصول والاهتداء إليها :-

مظاهر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

الحب وإن كان من أعمال القلوب إلا أنه لا بد وأن تظهر آثاره على الجوارح قولاً وفعلاً . ولما كان الحب أمراً يمكن أن يستتروا الدعوى والمزعم ويقع في الاشتباه كان لا بد من التمييز بين الصادق فيه وبين الدعي الكاذب وبين من سلك في حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً صحيحاً وبين من انحرف بمسلك حبه عن الصواب .

وقد جرت العادة أن الدعوى لا تقبل إلا بينات ، فالبينة على من ادعى ولو يعطى الناس بدعواهم لاختل ميزان الحق والعدل . وطالما استغلّت دعوى الحب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم أو حب الصالحين لتسويغ ألوان من البدع وضروب من الغلو وجعلها مقبولة طالما كان دافعها هذا الحب المزعوم .

(٢) فتح الباري ، ٧٧/١ .

لذا أردت في هذا المبحث الكلام على الشواهد الصادقة والمظاهر الواضحة لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعها بآثارها على السلوك والأفعال .
 وذلك لبيان أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم مقيد بضوابط تحكمه ، ويحدد
 بعلامات تؤكد صدقه ، وآثار تظهر على من اتصف به . وهذه العلامات والمظاهر كثيرة ، لكنني
 سأتكلم عن أظهرها وأبينها .

أولاً : طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه :

إن أقوى شاهد على صدق الحب- أيا كان نوعه- هو موافقة المحب لمحبوبه
 وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم هو طاعته واتباعه .
 فالاتباع هو دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل ، وهو شرط صحة هذه المحبة ، وبدونه
 لا تتحقق المحبة الشرعية ولا تتصور بمعناها الصحيح .

وإذا كان الله سبحانه قد جعل اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم دليلاً على حبه
 سبحانه ، فهو من باب أوفى دليل على حب النبي صلى الله عليه وسلم . قال تعالى :
 { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ }
 (آل عمران : ٣١)

قال ابن كثير رحمه الله :

(هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية
 بأنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع
 أقواله وأفعاله .

كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ^(١) ولهذا قال :

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الاعتصام . باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من
 غير علم فحكمه مردود ، ٩ / ١٢٣ .

أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض العلماء :

" ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب " .

وقال الحسن البصري وغيره من السلف :

زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال :

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ } (١)

فتبين من هذا أن الاتباع هو أعظم شاهد على صدق المحبة ، بل هو من أجل شأرها .

فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم هو من أطاعه واقتدى به وآثر ما يحبه الله ورسوله على هوى نفسه ، وظهرت آثار ذلك عليه من موافقته في حب ما يحبه وبغض ما يبغضه .

ويؤكد القاضي عياض على ارتباط هذه المحبة بالموافقة والاتباع فيقول :

(اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته ، وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان

مدعياً ، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه ، وأولها :

الاعتداء به واستعمال سنته ، واتباع أقواله وأفعاله ، وامتنثال أوامره واجتناب

نواهيه ، والتأدب بأدابه في عسره ويسره ، ومنشطه ومكرهه ، وشاهد هذا قوله تعالى :

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... } (آل عمران : ٣١)

وإثارة ما شرعه على هوى نفسه وموافقة شهواته . قال الله تعالى :

{ ...وَلَا تَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

كَانَ فِيهِمْ حَخَصَاةٌ ... } (الحشر : ٩) (١)

(١) تفسير ابن كثير . لإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي النمطي ط . دار الفكر ، بيروت ، ١ / ٣٥٨

وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة في تعظيم شأن الاتباع وبيان أهميته وأن سعادة المسلم في الدارين موقوفة على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن شقاء من شقي وهلاك من هلك إنما كان بسبب مخالفته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وسنعرض لهذه النصوص في مبحث وجوب الطاعة .

خلص من هذا إلى أن أقوى مظهر وأوضح شاهد على صدق المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاتباع وبدونه تصبح المحبة دعوى مجرنة عن الدليل وقولا لا يصدقه عمل .

وهذا الاتباع محدد أيضا بشواهد وعلامات تؤكده وسنعرض لها فيما بعد .

ثانيا : تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره والأدب معه :

تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم هو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير ، وهو من أعظم مظاهر حبه ، ومن أكد حقوقه صلى الله عليه وسلم على أمته ، كما أنه من أهم واجبات الدين .

وهذا التعظيم مثل المحبة من حيث كونه تابعا للمعرفة ، فعلى قدر المعرفة يكون التعظيم وتكون المحبة .

لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس حبا وتعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمعايشتهم له وقربهم منه . وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم يكون بالقلب ، واللسان والجوارح ، فالتعظيم بالقلب هو ما يستلزم اعتقاد كونه رسولا اصطفاه الله برسالته ، وخصه بنبوته ، وأعلى قدره ، ورفع ذكره ، وفضله على سائر الخلق أجمعين كما يستلزم تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين .

أما التعظيم باللسان فيكون بالثناء عليه بما هو أهله ، مما أثنى به على نفسه أو أثنى به عليه ربه من غير غلو ولا تقصير ، ويدخل في ذلك الصلاة والسلام عليه ، كما يشمل الأدب في الخطاب معه والحديث عنه صلى الله عليه وسلم .

وأما التعظيم بالجوارح فيشمل العمل بطاعته ، وتجديد متابعتة ، وموافقته في حب ما يحبه ، وبغض ما يبغضه والسعي في إظهار دينه ، ونصرة شريعته ، والذب عنه وصون حرمة (١) .

وعلى ذلك فاساس التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وقاعدته التي ينبنى عليها هو تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما عنه نهى وجر ، وعبادة الله بما شرع . فمن فقد هذا الأساس أو أحل به فقد أحل بتعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم . وهذا الإخلال يأتي من أمرين كليهما على طريفي نقيض :

أولهما : الجفاء والتفريط في حقوقه صلى الله عليه وسلم . وذلك كنسبته إلى ما لا يليق بمقام النبوة كالطعن في صدقه أو أمانته وعدالته وذلك كصنيع ذي الخويصرة التميمي الذي طعن في قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم للغنائم كما روي ذلك البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

« بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل فقال : ويك .

ومن يعدل إذ لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر : يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال : دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية « » (٢) الحديث .

ويشبه هذا الصنيع صنيع المنافقين ومن انطمست بصائرهم فلم يعرفوا للنبي صلى الله عليه وسلم قدره ولم يحفظوا حرمة . وبما يلحق بالجفاء عدم التأدب في الحديث والكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم كصنيع بعض الشعراء والكتاب في تشبيه بعض الولاة والحكام أو وصفهم بصفات الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة به .

كقول المعري مثلا:

لولا انقطاع الوحي بعد محمد ... قلنا محمد عن أيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه ... لم يأتيه برسالة جبريل (٣)

(١) انظر . الصارم المنكي في الرد على السبكي ، لابن عبد الهادي ، ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٢) صحيح البخاري . كتاب المناقب . باب علامات النبوة في الإسلام (٤ / ٢٤٣ - ٢٤٤) .

(٣) هذان البيتان من قصيدة للمعري يمدح بها رجلا من العلويين . انظر : سقط الزند - لأبي العلاء المعري . طبع دار صادر ، ص ١٤٢ ، ١٣٨٣ ، ١٩٦٣ م .

وقد نقل القاضي عياض أمثلة من هذا القبيل من أقوال بعض الجفاة والمنافقين^(١).
 وبما يلحق بالجفاء ترك الصلاة والسلام عليه لفظا وخطا ، أو الاستهانة بهديه
 وسنته وقلة المبالاة بها أو التعظيم لشأن المفكرين والكتاب والقادة بما يغض من شأنه
 صلى الله عليه وسلم، مع أن هؤلاء مهما بلغوا لن يصلوا إلى مرتبة واحد من عامة الصحابة.
 وقد كثرت الجفاء في زماننا هذا بكثرة المارقين والمنهزمين من الكتاب والأدباء الذين
 سودوا الصحائف بالاستهزاء بتعاليم الإسلام وقيمه وربما بالتطاول على مقام النبوة .
 كما عزف كثير من المسلمين عن مطالعة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومذاكرة
 سنته وكثرة الصلاة والسلام عليه. مما أدى إلى الجفاء للنبي صلى الله عليه وسلم وعدم توقيره.
ولقد كان سلفنا الصالح إذا ذكر عندهم النبي صلى الله عليه وسلم أو حديثا
 من أحاديثه ظهر عليهم من الهيبة والإجلال والتأدب كما لو كان النبي صلى الله عليه وسلم
 أمامهم حتى إن بعضهم كان يبكي عند ذكره؛ صلى الله عليه وسلم فكان محمد بن المنكدر
 إذا سئل عن حديث بكى حتى يرحمه الجالسون ، وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ
 حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمر الحاضرين بالسكوت وقال :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ } (٢)

ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب عند سماع قوله صلى
 الله عليه وسلم^(٣) .

هكذا كان أدب سلفنا الصالح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته فأين منا
 هذا الأدب وذلك التوقير؟ كما نسأل الله العافية .

ثانيهما : الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم ورفعته فوق مرتبته التي وضعه الله عليها .
 وذلك كاعتقاد أنه يعلم الغيب مطلقا أو أن وجوده سابق لهذا العالم وأن من نوره
 خلق الكون كله إلى غير ذلك من الاعتقادات الباطلة التي لم ترد في سنة . وسيأتي
 لهذا مزيد بيان في فصل الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) انظر الشفا ، ٢ / ٢٣٨ - ٢٤٧ .

(٢) استشهد بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » سورة الحجرات ،
 آية (٢) .

(٣) انظر الشفا ، ٢ / ٤٠ - ٤٧ .

وقد أوجب الله على الأمة كلها تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم
وتوقيره فقال تعالى :

{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُتَمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ

وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } { الفتح: ٩ }

فالتسبيح لله عز وجل والتعزير والتوقير للنبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى :

{ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ

أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } { الأعراف: ١٥٧ }

والتعزير بمعنى التعظيم .

قال ابن جرير في تفسير الآية الأولى :

(معنى التعزير في هذا الموضع : التقوية والنصرة والمعونة ولا يكون ذلك
إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال)^(١) .

ويعرف ابن تيمية التعزير بأنه :

(اسم جامع لنصره ، وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه ، والتوقير : اسم جامع لكل
ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم
بما يصونه عن كل ما يخرج عن حد الوقار)^(٢) .

وقد أبان الله في كتابه عن وجوه الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه .
وما ينبغي على المسلم أن يتأدب به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في آيات شتى
وبأساليب متنوعة .

وقد اشتملت سورة الحجرات في صدرها على مجموعة من التوجيهات التربوية
للمسلمين في كيفية تعاملهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأدب معه .

١) تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . ط ٢ ،
مصطفى الحلبي . القاهرة ، ١٣٧٣ هـ ، ٢٦ / ٧٥ .

٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول . لابن تيمية . تحقيق . محمد محي الدين عبد الحميد ، طبع دار
الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ ، ص ٤٢٢ .

فقال تعالى :

{يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ
أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾}

فقد أشارت هذه الآيات إلى بعض وجوه الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم منها :

عدم التقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل أو إذن أو تصرف كما

قال تعالى :

{يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾}

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية :

" لا تعجلوا بقاء أمر في حروبكم أو دينكم ، قبل أن يقضي الله لكم فيه ، ورسوله
فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله (١) . وهذا الأمر فرض باق على الأمة إلى يوم القيامة-
مثل طاعته صلى الله عليه وسلم حيا وميتا- فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته صلى الله
عليه وسلم كالتقدم بين يديه في حياته ، ولا فرق بينهما عند ذوي العقول السليمة فالأدب
كل الأدب مع صلى الله عليه وسلم تقديم سنته وأقواله على كل قول أو رأي (٢) .

ومنها عدم رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم ،
وعدم الجهر له بالقول مخافة حبوط العمل . فالأدب معه في حياته غض الصوت عنده مع

(١) تفسير ابن جرير ، ٢٦ / ١١٦ .

(٢) انظر . مدارج السالكين لابن القيم ، ٢ / ٣٨٩ .

الهيبة والإجلال له ، وأن يكون مجلس علم وحلم ووقار وسكينة ، وأن يكون الحديث معه بتأدب وتلطف .

وإذا كان الله قد حرم رفع الأصوات فوق صوت نبيه ، وحرم الجهر له بالقول لما في ذلك من الجفاء والإيذاء لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فكذلك رفع الأصوات عند قبره صلى الله عليه وسلم في حكم رفع الصوت عنده في حياته من حيث التحريم لأن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا .

وقد شدد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه النكير على رجلين رفعاً أصواتهما في المسجد النبوي وذلك فيما رواه البخاري بسنده عن السائب بن يزيد قال : (كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فانتى بهذين ، فجئته بهما . قال : من أنتما - أو من أين أنتما ؟ قال : من أهل الطائف . قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما . ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(١) .

فإذا تقرر هذا علمنا أن ما يحدث من كثير من الناس عند قبره صلى الله عليه وسلم من رفع الأصوات واختلاطها ، وصنيع من يسمون " بالمزورين " من رفع الأصوات عند القبر والتشويش في المسجد النبوي ، كل هذا من الأمور المحرمة لما فيها من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتهاك حرمة المسجد .

ومن مخالفة الأدب في هذا الباب رفع أراء بعض البشر وأقوالهم ومذاهبهم على سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومحاولة إسكات صوت السنة والداعين إليها وفي هذا من الإيذاء والجفاء ما هو أكبر بكثير من مجرد رفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) .

١ (صحيح البخاري . كتاب الصلاة . باب رفع الصوت في المساجد ١ / ١٢٧ .
٢ (انظر . مدارج السالكين ، ٢ / ٣٨٩ .

قال أبو بكر بن العربي:

(حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمة حيا ، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه ، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر أن لا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه ، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به ، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرير الأزمنة في قوله تعالى :

{ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الأعراف: ٢٠٤)

وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي ، وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناه (١) ، بيانها في كتب الفقه والله أعلم (٢) .
ومن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم عدم جعل دعائه كدعاء الناس بعضهم بعضا ، كما قال تعالى :

{ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ... } (النور: ٦٣)

وللمفسرين في معنى هذه الآية قولان :

أحدهما : معناه أن لا تجعلوا دعاءكم ونداءكم للرسول صلى الله عليه وسلم كما ينادي بعضهم بعضا باسمه المجرد فنهاهم الله أن ينادوا رسوله صلى الله عليه وسلم بيا محمد . بل الأدب معه صلى الله عليه وسلم أن ينادوه : بيا رسول الله ، ويا نبي الله ، مع خفض الصوت احتراما وتوقيرا له (٣) .

الثاني : أن لا تجعلوا دعاء الرسول لكم من جنس دعاء بعضكم بعضا إذا شاء أجاب وإن لم يشأ لم يجب . بل الأدب معه أنه إذا دعاكم لم يسعكم إلا إجابته والسمع والطاعة له (٤) .

(١) ذكر العلماء فروقا بين الحديث والقرآن منها : إن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ليس معجزا كالقرآن . إننا متعبدون بالقرآن وتلاوته في الصلاة وخارجها وليس الحديث كذلك . - إن القرآن لا يقرأه الفارئ إلا وهو ظاهر على خلاف في ذلك وليس الحديث كذلك .

(٢) أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق على محمد البجاوي ، ٤ / ١٧٠٢ - ١٧٠٣ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ، ٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، طبع مطبعة المدني ، مصر ، ٦ / ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٤) انظر مدارج السالكين ، ٢ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم أن أصحابه إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه .

كما قال تعالى :

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (النور: ٦٢)

قال ابن القيم :

(ومن الأدب معه : أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع- من خطة أو جهاد أو رباط- لم يذهب أحدهم مذهبا في حاجته حتى يستأذنه ... فإذا كان هذا مذهبا مقيدا بحاجة عارضة ، لم يوسع لهم فيه إلا بإذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين : أصوله وفروعه ، دقيقة ، وجليبه ؟ هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه .

{ ...فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (الأنبياء: ٧)

ومن الأدب معه . أن لا يستشكل قوله . بل تستشكل الآراء لقوله ، ولا يعارض نضه بقياس ، بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا ، نعم هو مجهول وعن الصواب معزول . ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد ، فكل هذا من قلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم وهو عين الجرأة (١) .

ومن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه : التأدب في الحديث معه والحديث عنه . وذلك باختيار أحسن الألفاظ وأعذبها ، وأرق المعالي وألطفها ، وتجنب كل ما فيه جفاء أو إساءة أدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتنزيهه مقام النبوة والرسالة من كل عيب أو نقص ينافي عصمته صلى الله عليه وسلم .

(١) مدارج السالكين ، ٢ / ٣٩٠ .

لأجل هذا نهى الله المؤمنين عن الجهر بالقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نهاهم عن مخاطبته كما يخاطب بعضهم بعضا كما سبق أنفا . لما فيه من الجفاء والإيذاء له . ومن هذا الباب قوله تعالى :

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة: ١٠٤)

فنهى الله المؤمنين أن يقولوا لنبيه صلى الله عليه وسلم (راعنا) لما فيها من احتمال معنى : ارعنا نرعاك على سبيل المقابلة كما يقال حادثنا وجالسنا ، نجادثك ونجالسك . فكأنهم لا يراعونه إلا برعايته لهم . بل حقه صلى الله عليه وسلم أن يرعى على كل حال ، أو يكون معناها : ارعنا معك حتى نفهمك وتفهم عنا^(١) وكلا المعنيين فيه جفاء لا يليق بمقام النبوة .

وقيل نهوا عن ذلك لما فيه من التشبه باليهود لأنهم كانوا يورثون بهذه الكلمة عن الرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعاً للزريعة ، ومنعا للتشبه بهم في قولهم (٢) .

وعلى ذلك فكل كلام يشعر بالجفاء وإن لم يقصد المتكلم- لا يجوز أن يخاطب به الرسول صلى الله عليه وسلم أو يتحدث به عنه لما في ذلك من إيذائه صلى الله عليه وسلم وإذهاب هيئته من النفوس .

ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم الثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به على نفسه أو أثنى به عليه ربه سبحانه وتعالى من غير غلو ولا تقصير ، ومن أعظم الثناء عليه : الصلاة والسلام عليه في موطنها ، وعند وروء ذكره الشريف على المسامح واللسان وعند الخط بالبنان .

ويتضمن معنى الصلاة عليه : ثناء الله عليه والإشارة برفع ذكره ، والطلب من الله أن يعلى ذكره ، ويزيده تعظيما وتشريفا ، والمراد بالطلب هنا هو طلب الزكاة- زيادة الثناء والتشريف- لا طلب أصل الصلاة . أما السلام فيتضمن سلامته أي من كل آفة وعيب (٣) .

(١) انظر . تفسير الطبري، تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر ، طبع دار المعارف مصر ، ٤٦٣ / ٢ - ٤٦٦ .
(٢) انظر . الشفا للقاضي عياض ، ٣٧ / ٢ . وتفسير ابن كثير ، ١٤٨ / ١ - ١٤٩ .
(٣) انظر . جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام . لابن القيم ص ٨٤ ، وما بعدها ، وفتح الباري ١٠٢ / ١١ - ١٥٣ ، ١٦٩ .

أورد البخاري تعليقا عن أبي العالية قال : " صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء " .

قال ابن عباس :

يصلون : يبركون (١) .

وقد أخبر الله أنه وملائكته يصلون على النبي وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال تعالى :

{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (الأحزاب: ٥٦)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

والمقصود من هذه الآية : أن الله سبحانه وتعالى أخير عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والسلام عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا " (٢) .

كما رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة والسلام عليه في أحاديث عدة : منها ما أخرجه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى علي واحدة ، صلى الله عليه عشرا » (٣) .

وأخرج أبو داود بسنده عن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ ! يقولون : بليت . قال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » (٤) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير . باب « إن الله وملائكته يصلون على النبي » ١٥١ / ٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٥٠٧ / ٣ .

(٣) صحيح مسلم . كتاب الصلاة . باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ، ٣٠٦ / ١ .

(٤) سنن أبي داود . كتاب الصلاة . باب فضل الجمعة وكيفية الجمعة ، ٦٣٥ / ١ ، ورواه أحمد في المسند ٨ / ٤ والنسائي في كتاب الصلاة . باب إثبات الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ٩١ / ٣ -

٩٢ . وإسناده صحيح صححه الحاكم ٢٧٨ / ١ . ووافقه الذهبي . وصححه النووي في الأذكار ، ط ٤ ،

مصطفى الحلبي ، مصر ص ١٠٦ .

وأخرج الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي » الحديث (١).

وأخرج الترمذي أيضا بسنده عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي » (٢).

وأخرج أبو داود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عبدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » (٣).

وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمته كيف يصلون عليه في الصلاة وغيرها وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما عند عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :

(لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ، إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا ، فقال يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال : قولوا اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) (٤).

وأخرجنا أيضا بسنديهما عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا :

« يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا :

(اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما ، صليت على آل إبراهيم ، وبارك على

محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » (٥).

(١) سنن الترمذي كتاب الدعوات . باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده / ٥ / ٢١٠ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر محمد عبد المحسن الكتبي ، المدينة المنورة . وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، ١ / ٥٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ٥ / ٢١١ ، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١ / ٥٤٩ .
(٣) سنن أبي داود . كتاب المناسك . باب زيارة القبور ٢ / ٥٣٤ . ورواه أحمد في المسند ٢ / ٣٦٧ .
والحديث سنده حسن على شرط مسلم ، وهو صحيح بما له من طرق وشواهد . انظر أحكام الجناز وبعدها للشيخ الألباني ، ط٤ طبع المكتب الإسلامي ، ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٤) البخاري . كتاب الدعوات . باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ٨ / ٩٥ . ومسلم . كتاب الصلاة . باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ١ / ٣٠٥ .

(٥) البخاري ، السابق نفسه ، ٨ / ٩٥-٩٦ . ومسلم ، السابق نفسه ، ١ / ٣٠٦ .

إلى غير ذلك من الصيغ التي علمهم النبي صلى الله عليه وسلم إياها وأرشدهم إليها . وهذه الصيغ التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأمته من بعدهم هي أفضل كيفيات الصلاة والسلام عليه لأنها صادرة من مشكاة النبوة ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يختار لهم وانفسه إلا الأشرف والأفضل والأكمل من الأعمال والكيفيات .

فإذا تبين هذا علمنا أن ما ابتدعه كثير من مشايخ الصوفية من صيغ في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زعمين لها من الفضل والثواب الشيء الكثير ، هذه الصلوات لا ترتقي إلى مرتبة الصيغ التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأمته في كيفية الصلاة والسلام عليه . هذا إن سلمت تلك الصلوات من الغلو وضرب البدع . كما يلاحظ أنه لم يرد في شيء من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لفظ السيادة (سيدنا) . فدل عدم ورودها على أنها ليست مشروعة أو خلاف الأولى .

وقد سئل الحافظ ابن حجر عن صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة أو خارج الصلاة سواء قيل بوجوبها أو نديبيتها ، هل يشترط فيها أن يصفه صلى الله عليه وسلم بالسيادة . كأن يقول مثلاً . اللهم صل على سيدنا محمد أو على سيد الخلق ، وعلى سيد ولد آدم ؟ أو يقتصر على قوله : اللهم صل على محمد ؟ وأيها أفضل الإتيان بلفظ السيادة لكونها صفة ثابتة له صلى الله عليه وسلم ، أو عدم الإتيان بها لعدم ورود ذلك في الآثار ؟ .

فأجاب رحمه الله :

(نعم ، اتباع الألفاظ المأثورة أرجح . ولا يقال : لعله ترك ذلك تواضعاً منه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول عند ذكره صلى الله عليه وسلم : صلى الله عليه وسلم وأمته مندوبة إلى أن تقول ذلك كلما ذكر . لأننا نقول : لو كان ذلك راجحاً لجاء عن الصحابة ثم عن التابعين . ولم نقف في شيء من الآثار عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم قال : ذلك مع كثرة ما ورد عنهم من ذلك) (١) .

(١) أوردتها بتمامها : الألباني نقلاً عن الحافظ محمد بن محمد الغرابيلي تلميذ الحافظ ابن حجر . انظر . صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، تأليف محمد نصر الدين الألباني ، ط ١١ ، المكتب الإسلامي ١٤٠٣ هـ ، ص ١٥٣-١٥٥ .

والمصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مواطن يتأكد وجوبها أو استحبابها فيها :
منها : التشهد الأخير في الصلاة ، واختلف في وجوبه واستحبابه على قولين (١) . ومنها عند
دخول المساجد والخروج منها ، وبين يدي الدعاء .

وعند ذكره صلى الله عليه وسلم ، وروى اسمه الشريف وكتابه وفي الخطب وعند
رواية الحديث وتعليم الناس العلم إلى غير ذلك من المواطن

ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم ونصرته والذب عنه ، وقد أوجب الله على الأمة
تعزير نبيه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ، وسبق أن بينا أن تعزيره صلى الله عليه وسلم
يتضمن معنى النصرة والتعظيم . فواجب على الأمة أن تنصر الله ورسوله ، وأن تنتصر لله
ورسوله ، وإذا كان نصر أحاد المسلمين واجبا ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك
ظالما أو مظلوما » (٢) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن
كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » (٣) .
فكيف لا يكون نصر الرسول صلى الله عليه وسلم من أوجب الواجبات ، بل حقه
أن يفدى بالأنفس والأموال وأن يؤثر بكل عزيز وغال .
قال تعالى :

{ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ۗ ... } (التوبة : ١٢٠)
فحرم الله على المؤمنين التخلف عن نصرة نبيه والرغبة بالأنفس عنه ، وأوجب
على المؤمنين نصرته ، وذلك في آيات عدة من القرآن منها :

(١) انظر : جلاء الأفهام ، ص ١٩٣ - ٢١٦ . وصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ١٦٢ .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم . باب : أعن أخاك ظالما أو مظلوما ٣ / ١٦٨ . والإمام أحمد في
المسند ، ٣ / ٩٩ .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب المظالم . باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٣ / ١٨٦ .

قوله تعالى :

{...فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الأعراف: ١٥٧)

وقال تعالى :

{ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ... } (التوبة: ٤٠)

وقال تعالى :

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ ... } (الصف: ١٤)

وامتدح الله المهاجرين بقوله تعالى :

{ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحشر: ٨).

كما أثنى على الأنصار بقوله :

{ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا
أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (الأنفال: ٧٤)

ونصر الرسول صلى الله عليه وسلم يشمل نصر؛ باللسان واللسان والبنان ، بالقول
والفعل . نصرا له في ذات نفسه حماية لعرضه ، وصونا لحرمة ، وإرغاما لأعدائه ومبغضيه
وانتصارا له من كل من يؤذيه ، وإجلالا لمقام النبوة من أي قذح أو عيب .

وقد أجمع أهل العلم على وجوب قتل من سب الرسول صلى الله عليه وسلم
أو عابه أو ألحق به نقصا في نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله ، أو عرض به أو شبيهه
بشيء على طريق السب له والإزاء عليه أو التحقير لشأنه .

فحكم من أتى بذلك أن يقتل بلا استتابة لأنه آذى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما يستوجب إهدار دمه إن كان مسلما ، ونقض عهده وقتله إن كان ذميا ^(١) كل ذلك
حماية لعرضه صلى الله عليه وسلم وصونا لمكانته ومنزته .

(١) انظر في بيان ذلك . الشفا ٢ / ٢١٤ وما بعدها . والصارم المسلول ص ٣ وما بعدها ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

ومن نصر الرسول صلى الله عليه وسلم نصر سنته والذب عن شريعته ودفح كيد الكائدين وطمع الطاعنين في سنته وسيرته ، برد شبههم ونحض مفترياتهم وإظهار ما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق .

ويدخل في نصر الله ورسوله نصر الشريعة وأهلها والداعين إليها وتكثير سوادهم وإعانتهم على أمورهم ، وطمع أعدائهم . ولا يتأتى هذا النصر ولا يتحقق إلا برفع علم الجهاد في سبيل الله جهادا للكفار والمنافقين ، وتتبع الزنادقة والملاحدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة حدود الله في أرضه . وتطبيق شرعه .

وترك النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه والتخاذل عنها تمكين لأعداء الإسلام من الطعن فيه وتشويهه وإضعاف شوكرته وانتهاك حرماته وإذهاب هيبة النبي صلى الله عليه وسلم من النفوس .

ولا يكون ذلك إلا إذا ترك الجهاد في سبيل الله ، ونهبت الغيرة على محارم الله من القلوب ، حينما يكون الرضى بالذل والهوان حبا للدنيا وكرهية للموت ، وهذا هو حال المسلمين اليوم . فالانتصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم حق على كل من آمن بالله واتبعه وزعم أنه يحبه ، فمن ادعى حبه ولم ينصره، وينتصر له فهو كاذب في دعواه .

فمقتضى الحب الصحيح أن تنصره، وتفديه بالنفس والمال وأن تغار على حرمان الله أن تنتهك ، تلك هي أهم جوانب تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيره . لكن بقي أن أنبه إلى أمرين مهمين في هذا الباب :

الأمر الأول :

أنه يجب على المسلم المعظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته وألوهيته ، والتي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى وبين حقوق النبي صلى الله عليه وسلم ليضع كل شيء في موضعه حتى يكون على الصراط المستقيم .

فالتجاء المضطر- مثلا- الذي أحاطت به الكرب ، ونزلت به الشدائد التي لا يقدر على كشفها إلا الله وحده ، حق ممن حقوق الله تعالى لا يجوز صرفه لغير الله بحال من

الأحوال ، لأن كشف الضر، وإجابة المضطر بيد الله وحده . فصرف هذا الحق لله وإخلاصه له ، هو عين طاعته سبحانه ومرضاته ، وهو طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع له في تجريد التوحيد من كل شوائب الشرك .

أما صرف هذا الحق- أو غيره؛ من الحقوق الخاصة بالله- لغير الله ولو لرسوله صلى الله عليه وسلم بدعوى أنه تعظيم له - فهذا عين المحادة والمشاقة لله ورسوله " وهو من الشرك الذي نهى الله عنه فإذا تبين ذلك علمنا أن ما يفعله بعض المنتسبين إلى الإسلام من التجائهم وقت الشدائد إلى غير الله طالبين منه كشف الضر ورفع الشدة وما يفعل من هذا القبيل عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، بدعوى أنه تعظيم له كل هذا من قبيل الشرك الذي حرمه الله ورسوله .

الأمر الثاني :

الفرق بين التعظيم المشرع وغير المشرع ، ينبغي على المسلم أن يعلم أن التعظيم الذي أوجبه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم هو التعظيم المشرع اللائق بمقام النبوة والرسالة .

ومدار هذا التعظيم وأساسه هو الاتباع والافتداء به صلى الله عليه وسلم فمن كان اتباعا وافتداء كان أكثر محبة وتعظيما ، وأبعد عن الغلو والبدع . وليس كل ما يظن أنه من باب التعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو في الحقيقة تعظيما مشرعا في حقه .

قال ابن عبد الهادي:

فالتعظيم نوعان : أحدهما : ما يحبه المعظم ويرضاه ويأمر به ويثنى على فاعله ، فهنا هو التعظيم في الحقيقة .

والثاني : ما يكرهه ويبغضه ويذم فاعله ، فهذا ليس بتعظيم ، بل هو غلو مناف للتعظيم ولهذا لم يكن الرافضة معظمين لعلي بدعواهم الإلهية والنبوة أو العصمة ونحو ذلك ولم يكن النصارى معظمين للمسيح بدعواهم فيه ما ادعوا ، والنبي صلى الله عليه

وسلم قد أنكر على من عظمه بما لم يشرعه ، فأنكر على معاذ سجوده له وهو محض التعظيم .

وفي المسند بإسناد صحيح على شرط مسلم عن أنس بن مالك :
« أن رجلا قال :

(يا محمد ، يا سيدنا ، وابن سيدنا ، وخيرنا ، وابن خيرنا) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عليكم بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزني الله عز وجل » (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تطرئني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله » (٢) .

وكان يكره من أصحابه أن يقوموا له إذا رأوه ، ونهاهم أن يصلوا خلفه قياما .
وقال : « إن كدتم أنفا لتفعلون فعل فارس والروم ، يقومون على ملوكهم » (٣)
وكل هذا من التعظيم الذي يبغضه ويكرهه (٤) .

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من قال له : ما شاء الله وشئت أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال أ جعلتني والله عدلا .
بل ما شاء الله وحده » (٥) .

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى أن يقولوا - إذا أرادوا - ما شاء الله ثم شاء محمد . كما في سنن الدارمي وابن ماجه بسنديهما عن الطفيل بن سخبرة أخی عائشة لأمها قال : « قال رجل من المشركين لرجل من المسلمين نعم القوم أنتم لولا أنكم

(١) المسند ، ٣ / ١٥٣ ، ٢٤١ .

(٢) سبق تخريجه

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة . باب انتظام المأموم بالإمام ، ١ / ٣٠٩ ، والنسائي في كتاب السهو . باب الرخصة في الالتفات في الصلاة يمينا وشمالا ٣ / ٩ .

(٤) الصارم المنكي في الرد على السبكي ، ٢٨٨ .

(٥) المسند ، ١ / ٢١٤ ، والحديث إسناده حسن . انظر السلسلة الصحيحة ١ / ٥٦ - ٥٧ .

تقولون ما شاء الله وشاء محمد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد « (١) .

فيجب على المسلم أن يفرق بين المشرع وبين غيره، في هذا الجانب وعدم التفرقة بينهما هو الذي أوتع المبتدعة في الغلو الذي ذمه الله ورسوله وذلك كالاستغاثة به وطلب الحاجات منه ودعائه من دون الله واعتقاد أنه خلق من نور وأن الكون كله قد خلق من نوره ، وأنه يتصرف في الأكون ، ويعلم الغيب مطلقا إلى غير ذلك من العقائد الباطلة وابتداع أنواع كثيرة من الصلوات عليه . فكل هذا من الغلو والشرك الذي نهى الله عنه وفاعل هذا مضاد لتعظيمه صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : ومن مظاهر محبته صلى الله عليه وسلم :

كثرة تذكره، وتمني رؤيته والشوق إلى لقائه ، ذلك أن من أحب شيئا أكثر من ذكره، ولا يكون ذلك إلا إذا شغلت المحبة قلب المحب وفكره ، وسبب ذلك استحضار الأسباب والدواعي الباعثة على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة قدر النعمة التي أنعم الله بها على الناس إذ بعث فيهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى :

{ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٢﴾ فَادْكُرُونِي

أَدْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ { (البقرة: ١٥١ - ١٥٢)

ويتبع ذلك تمني رؤيته صلى الله عليه وسلم والشوق إلى لقائه وسؤال الله للحاق به على الإيمان وأن يجمع بينه وبين حبيبته ونبيه صلى الله عليه وسلم في مستقر رحمته . وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه سيوجد في هذه الأمة أناس يودون رؤيته بكل ما يملكون .

(١) سنن الدارمي . كتاب الاستئذان . باب في النهي عن أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ٢ / ٢٩٥ . وابن ماجه . كتاب الكفارات . باب النهي عن أن يقال ما شاء الله وشتت ١ / ٦٨٤ . والحديث صحيح بشواهده . انظر السلسلة الصحيحة ١ / ٥٤ - ٥٦ .

فأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أشد أمتي لي حبا ، ناس يكونون بعدي يوم أحدهم لورآني ، بأهله وماله » (١) .

فأين شوق المسلمين اليوم إلى نبيهم وحبیبهم صلى الله عليه وسلم أين هو؟ لقد غاب عند أكثر العالمين إلا من رحم الله . نعم . لقد غاب . لأن الفكر والقلب قد شغل بالتنافس في حطام الدنيا حتى قل تذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عن الشوق إلى لقاءه . فنسأل الله أن يوظفنا من رعدة الغافلين وأن يرزقنا الشوق إلى لقاءه ولقاء حبيبه صلى الله عليه وسلم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

رابعا : ومن مظاهر محبته صلى الله عليه وسلم محبة قرابته وآل بيته وأزواجه وصحابته :

ويتمثل هذا في توقيرهم ومعرفة فضلهم وحفظ حرمتهم ومكانتهم وبغض من أبغضهم أو آذاهم .

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم الأمة بآل بيته خيرا فقال : « أذكركم الله في أهل بيتي » .

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا . بماء يدعى " خمأ " بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر . ثم قال : أما بعد . ألا أيها الناس ! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب . وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله . واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه .

ثم قال : (وأهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي) فقال له حصين ومن أهل بيته ؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته . ولكن أهل بيته . من حرم الصدقة بعده . قال ومن هم ؟ قال : هم آل

(١) صحيح مسلم . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . باب فيمن يود رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بأهله وماله ٤ / ٢١٧٨ .

علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده؟ قال: نعم» (١).

وأخرج البخاري عن ابن عمر أن أبا بكر الصديق قال: (ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته) (٢).

ومن مظاهر حبه صلى الله عليه وسلم حب أصحابه ومعرفة فضلهم وتقديرهم والثناء عليهم بما هم أهله، والانتصار لهم ممن يؤذيهم وبغير الخير يذكرهم، فهم خير هذه الأمة بعد نبيها، ويكفى أنهم فازوا بشرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الله قد خصهم بهذا الشرف دون غيرهم من العالمين فكانت لهم منزلة الصحبة التي لا تعادلها أي منزلة سواها في هذه الأمة. وقد أثنى الله عليهم في كتابه في مواضع كثيرة منها:

قوله تعالى:

{ وَالسَّبِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (التوبة: ١٠٠)

وقال تعالى:

{ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ... } (الفتح: ١٨)

وقال تعالى:

{ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (١)

(١) صحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة . باب فضائل علي رضي الله عنه ، ٤ / ١٨٧٣ .

(٢) صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة ، ٥ / ٢٦ .

تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيْمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٨-١٠﴾.

فهذه الآيات وغيرها تتضمن الثناء على الصحابة وتذكرهم بالخير وسابق الفضل وعلو المنزلة .

كما تبين حال من أتى بعدهم من المؤمنين بأنهم يستغفرون لهم ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم ، وهذا هو شأن المؤمنين مع صحابة رسول صلى الله عليه وسلم ومن أتى بعدهم من صالح المؤمنين .

وقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه خيرا فقال كما في الصحيحين عن عمران بن حصين وغيره : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال عمران : فلا أدري . أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا (الحديث ^(١)) .

وقال فيما أخرجه الشيخان بسنديهما عن أبي سعيد الخدري : « لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » ^(٢) .

ولقد صدق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم حيث قال : (إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ٥ / ٢ - ٣ . وصحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة . فضل الصحابة . ٤ / ١٩٦٤ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضائل قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا ٥ / ١٠ . وصحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة . باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ٤ / ١٩٦٧ .

أصحابه خير قلوب العباد ، فجلعهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآوه سيئاً فهو عند الله سيئاً (١) .

فصار من لوازم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة صحابته وقرابته وأهل بيته ومعرفة فضلهم والثناء عليهم بما هم أهلها والدفاع عنهم وصون حرماتهم .

خامسا : ومن مظاهر محبة النبي صلى الله عليه وسلم محبة سنته والداعين إليها :

والمتمسكين بها وأهل العلم الذين لهم في هذه الأمة قدم صدق وهم السلف الصالح ومن أتى بعدهم على مناهجهم حتى يومنا هذا وتوليهم والدفاع عنهم ومعرفة قدرهم وحفظ حرماتهم والتأدب معهم والاعتذار لمن أخطأ منهم بأحسن المعاذير ، وحمل أقوالهم وأحوالهم على أحسن المحامل والوجوه ، لأن قصدهم إنما هو نصرته الدين ، ولا يعني ذلك عدم تبيين الحق فيما اختلفوا فيه أو الصواب فيما أخطأوا فيه فذلك هو واجب العلماء إلى يوم القيامة .

وإنما المقصود هو إحسان الظن وإنصافهم والتأدب معهم ، لأنهم حملة الشريعة ولولا أن الله هيأهم لهذا الأمر لما كان لنا عن هذا الدين خبر ، فهم سلفنا الصالح فلنكن لهم خير خلف ، لا أن نفيد من تراثهم ونجد فضلهم أو نتلمس معايبهم ومطاعنهم دون النظر إلى فضائلهم ، فهذا هو سبب ذهاب بركة العلم . وإن نرزق بركة العلم والدين إذا لم نعترف لهم بسابق الفضل والمنزلة وتسلم صدورنا لهم وترحم عليهم ونسأل الله لهم المغفرة ، وهذا هو شأن المؤمن في كل زمان .

قال تعالى :

{ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } (الحشر: ١٠)

قال شارح العقيدة الطحاوية:

(١) أخرجه أحمد في الحسد ، ١١ / ٣٧٩ . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، ٣ / ٧٨ - ٧٩ .

(فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمن ، كما نطق به القرآن خصوصا (العلماء) الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم ، يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر .

وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم ، إذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم علمائها شرارها ، إلا المسلمين ، فإن علماءهم خيارهم ، فإنهم خلفاء الرسول في أمته ، والمحيون لما مات من سنته ، فيهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وكلهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له في تركه من عذر^(١) فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق ، وتبليغ ما أرسل به الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا وإيضاح ما كان منه يخفى علينا ، فرضي الله عنهم وأرضاهم^(٢) .

وكما أن من لوازم المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبة سنته والداعين إليها فإن من لوازمها بغض من أبغض السنة وأهلها والدعاة إليها من علماء هذه الأمة وسلفها ، كما هو صنيع أهل البدع قديما وحديثا من الطعن في السنة وأهلها والوقعية فيهم وتشويه صورتهم وتاريخهم .

فيجب على المسلم معرفة هؤلاء المبتدعة وبغضهم في الله ، كما ينبغي التنبه للمارقين والمنافقين والمنهزمين من حملة الأقلام المسمومة من الكتاب والأدباء والمؤرخين الذين راحوا يشوهون التاريخ ويقلبون الحقائق ويطعنون في خيار هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم من علماء هذه الأمة ويختلفون الأكاذيب أو ينقلونها على هوى وعدم بصيرة فيجب على أهل الاختصاص من المسلمين الكشف عن مخططاتهم وتعريف الأمة بهم والرد عليهم وتبيين الحقائق .

(١) بين الشيخ بعد ذلك الأعداء التي اعتر بها أهل العلم للأئمة . وقد بسط شيخ الإسلام ابن تيمية القول في بيانها في رسالته القيمة (ردع الملام عز الأئمة الأعلام) فلتراجع ضمن مجموع الفتاوى ، ٢٠ / ٢٣١ وما بعدها .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ، ط ٦ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٥٥٥ .

{... لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ...} (الأنفال: ٤٢)

تلك هي أهم مظاهر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ولوازمها في صورتها العامة والتي يجب أن يتحلى بها المسلم في سلوكه وفعله وتظهر آثار ذلك عليه .

آثار المحبة على السلوك والأفعال :

المقصود بهذه الآثار هو ما يظهر على سلوك المؤمن المحب لله ورسوله وفعله . لأن هذه الآثار هي التي تبين صدق هذه المحبة ، وهي عنوان انتفاع المسلم بهذه المحبة ، وإذا كان الحب يحرك إرادة القلب نحو تحصيل المحبوبات ودفْع المكروهات ، فإن محبة المؤمن لله ورسوله تحمله على تحصيل ما يحبه الله من أعمال القلوب والجوارح ، واجتناب ما يبغضه الله ورسوله من الأقوال والأفعال فلا بد لكل محبة في القلب من آثار تظهر على الجوارح . وآثار محبة الرسول صلى الله عليه وسلم منها ما هو ظاهر يقع عليه الحكم وينطق فيه الوصف ، ومنها ما هو باطن بمنزلة الثمرة الإيمانية .

فأما الظاهرة منها : فهي أن يكون المسلم محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤثرا حبه على كل محبوب وغال، وأن يكون مكثرا لذكره وتذكره، والصلاة عليه متشوقا لرؤيته، سائلا الله للحاق به والاجتماع به في الجنة، والورع على حوضه والشرب منه .
ومنها : أن يكون معظما لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما شرعيا يليق به موقرا له ، ومتأدبا معه وحافظا لحرمة ، ومعظما لدينه وسنته ، متجافيا عن البدع والغلو وضرب المعاصي .

ومنها : أن يكون متبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في منشطه ومكرهه في سر، وعلانيته ، بإذلا كل ما في وسعه للوقوف على هديه وتباع سنته ، متحريرا في كل أقواله وأفعاله موافقة سنته ، وأن يكون حريصا على الاقتداء به في الواجبات والمستحبات في الفرائض والنوافل ، مكثرا من ذكر الله والدار الآخرة مجاهدا في سبيل الله بكل ما يستطيع .

ومنها : أن يكون متأدبا بأدابه متأسيا بأخلاقه صلى الله عليه وسلم من سعة الصدر ولين الجانب وسماحة الخلق ، وبذل الندى وكف الأذى ، وبسط الوجه ، وأن يكون

صديراً حليماً قريباً من البر، بعيداً عن الإثم، ودوداً لإخوانه، منصفاً لهم، ينزل الناس منازلهم، ويعرف لأهل الفضل فضلهم. ويمتليء قلبه حباً لإخوانه المسلمين، غير عياب ولا متفحش ولا ملتمس للبراء المعاييب زهداً في حطام الدنيا وزخارفها، راغباً فيما عند الله من الأجر والثوبة.

تلك هي بعض أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، والتي يجب على من أحبه أن يتأسى به فيها، لا أن يدعي حبه، وخلقه وسمته مباين لخلق الصالحين والأبرار.

وإن حسن الخلق هو عنوان استفادة المسلم من هذا الدين وهديه، وهو الركيزة الأساسية في النجاة من النار وسلوك مسلك الأبرار بعد تقوى الله عز وجل.

ومنها : أن يكون محباً لأصحابه وقربته وآل بيته والصالحين والعلماء وكل ما يحبه الله ورسوله، وأن يبغض كل من أبغض الله ورسوله أو الصحابة أو آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، أو أبغض دينه وكره ظهوره من الكفرة والمنافقين.

ثمرات المحبة :

أما الآثار الباطنة فمن أعظمها أن يجد المؤمن في قلبه حلاوة الإيمان كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » (١).

فهذا الحديث يبين أثر محبة الله ورسوله في قلب المؤمن وهو أن يجد حلاوة الإيمان في قلبه إذا اتصف بهذه الصفات الثلاث.

يقول ابن تيمية :

(أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان لأن وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئاً أو اشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك... فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح

(١) سبق تخريجه.

بما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله ، وذلك بثلاثة أمور .
تكميل هذه المحبة ، وتفريغها ، ودفع ضدها .

(" تكميلها " أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب ، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه سواهما كما تقدم .
" وتفريغها " أن يحب المرء لا يحبه إلا الله .

" ودفع ضدها " أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار . (١)
وكلما ازناد المؤمن محبة لله ورسوله كلما ازناد نوقه لحلاوة الإيمان فإن للإيمان من الحلاوة في القلب واللذة والبهجة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه إلا لمن ذاقه ، والناس متفاوتون في ذوق الإيمان واللذة به تفاوتاً عظيماً لا يعلمه إلا الله .

والمقصود أن أهل الإيمان يجدون بسبب محبتهم لله ورسوله من حلاوة الإيمان ما يناسب هذه المحبة (٢)

وأما عاقبة هذه المحبة فهي أن يكون المرء مع من أحب كما أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فمن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه في الجنة بإذن الله ، ولو لم يكن لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم ثواب سوى مرافقته في الجنة والتنعم برؤيته لكفى .

أخرج البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه : « أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟ قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله ، قال أنت مع من أحببت » . (٣)

وفي رواية : « قال : وماذا أعددت لها كما قال : لا شيء إلا أنني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال : أنت مع من أحببت » . قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت .

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٦٤٨ - ٦٥٠ .

(٣) صحيح البخاري . كتاب الأدب ، باب علامة حب الله عز وجل ، ٨ / ٤٩ .

قال أنس : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحيي إياهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم . (١)

وأخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب » . (٢)

فهذه الأحاديث تبين أن المرء مع من أحب طالما كان هذا الحب سببه محبة الأعمال الصالحة وأهلها . فالمحبة الصحيحة تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم وهو فعل الواجبات وترك المنكرات ، وإن لم يبلغ درجتهم في التقرب إلى الله عز وجل ، وعلى ذلك دل قول السائل : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ويقصد بذلك ما زد على الواجبات من النوافل التي تقبل الكثرة والزيادة ، أو أن حظها منها قليل جدا بالمقارنة مع فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأكابر أصحابه ورضي الله عنهم (٣)

ويؤكد هذا قول أنس رضي الله عنه : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحيي إياهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم .

قال ابن حجر :

(.. وبال خبر على أن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان الأصل أنه لا يحصل إلا بامتثال جميع ما أمر به ، أنه يحصل من طريق التفضل باعتقاد ذلك وإن لم يحصل استيفاء العمل بمقتضاه بل محبة من يعمل ذلك كافية في حصول أصل النجاة والكون مع العاملين بذلك ، لأن محبتهم إنما هي لأجل طاعتهم ، والمحبة من أعمال القلوب ، فأثاب الله محبهم على معتقده ، إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها ، وليس من لازم المحبة الاستواء في الدرجات) . (٤)

(١) صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة . باب مناقب عمر بن الخطاب ٥ / ١٤ - ١٥ . وأخرجه مسلم في البر والصلة . باب المرء مع من أحب ، ٤ / ٢٠٣٢ .
(٢) صحيح البخاري . كتاب الأدب ، باب علامة حب الله عز وجل ، ٨ / ٤٨ - ٤٩ . ومسلم . كتاب البر والصلة . باب المرء مع من أحب ، ٤ / ٢٠٣٢ .
(٣) ويدل على هذا إحدى روايات مسلم وفيها : ما أعددت لها من كثير أحمد عليه نفسي) . صحيح مسلم ٤ / ٢٠٣٢ .
(٤) فتح الباري ، ١٠ / ٥٥٨ .

مخلص من هذا إلى أن من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا صحيحا يصدقه الاتباع كان معه في الجنة بإذن الله فضلا وتكرما منه سبحانه ، أما مجرد ادعاء الحب بدون تحقيق الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلن يصل صاحبه إلى هذه المعية ما لم يحقق الاتباع .

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى :

(ابن آدم لا تغتر بقول من يقول : المرء مع من أحب ، أنه من أحب قوما اتبع آثارهم ، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بسنتهم وتصبح وتسمي وأنت على منهجهم ، حريصا على أن تكون منهم ، فتسلك سبيلهم ، وتأخذ طريقهم وإن كنت مقصرا في العمل ، فإنما ملاك الأمر أن تكون على استقامة ، أما رأيت اليهود ، والنصارى ، وأهل الأهواء المرديّة يحبون أنبياءهم ويسوا معهم ، لأنهم خالفوهم في القول والعمل ، وسلكوا غير طريقهم فصار موردهم النار ، نعوذ بالله من ذلك) . (١) (٢)

(١) استنشاق نسيم الأنس ، لابن رجب ، ص ٨٧ .

(٢) عبد الرؤوف محمد عثمان ، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، ص ١٢٠ - ١٣٠ .